



مقاصد الشريعة

الفصل الدراسي الثالث

معالي الشيخ / د. سعد بن ناصر الشثري

الفوائد المنتقاه من دروس مقاصد الشريعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الدرس الأول

- المقصد الشرعي معنى كليٌّ، بينما العلل يمكن أن تكون لأحكام جزئية. ثم المقصد أمرٌ يريد الشرع تحقيقه، بخلاف العلل، فقد لا يريد الشرع تحقيقها إنما هي أوصافٌ عُلقَت عليها الأحكام.
- من فوائد تعلُّم علم المقاصد أنه يجعل الإنسان يعرف أحكام النوازل الجديدة، ويكون عنده تصوُّرٌ ولو مبدئياً بحكم النوازل الجديدة.
- من فوائد معرفة مقاصد الشريعة معرفة أن الله عزَّ وجلَّ قد تفضل علينا بهذه الشريعة، وبالتالي يكون هذا من أسباب شكرنا لله عزَّ وجلَّ الذي تفضل علينا بأن جعل عندنا شريعةً محققةً للمقاصد.
- من فوائد دراسة المقاصد، إحياء القلوب، والتنشيط على العمل، عندما تعرف مقصد الشارع، حينئذٍ هذا سينشطك لأداء الأعمال والواجبات والتوجهات الشرعية، وفي نفس الوقت، يُعرفك بالمعنى الذي قصده الشارع، فتعرف فضل الله عليك، فتشكر الله - عزَّ وجلَّ - على هذه النعمة.
- علم المقاصد، هو علمٌ ضروريٌّ بالنسبة لأهل الاجتهاد والفتوى، ولا يتمكن الإنسان من استخراج فتوى صحيحة، إلا بمعرفة هذا العلم، ولذلك كان تعلم علم المقاصد بالنسبة للفقهاء المجتهدين، هو من فروض الأعيان، وأما بالنسبة لغيرهم، كالعامة والمبتدئين في الدراسة، فهؤلاء لا يحتاجون إلى معرفة المقصد، إلا من أجل تثبيت الإيمان في قلوبهم، ودفعهم وحثهم على امتثال الأمر، فلو وجد هذا المعنى عند من لم يأت إلى الفقهاء، فإنه يكون قد حقق المقصد الشرعي، وبالتالي القسم الثاني، وهم العامة، لا يتعين عليهم معرفة مقاصد الشريعة، بل يكون من أبواب المستحبات، التي يستحب للإنسان أن يدركها.

الدرس الثاني

- العبادة في الاصطلاح تتضمن خمسة معانٍ رئيسية.

المعنى الأول: العبودية والذل،

المعنى الثاني: الخشوع والخوف من الله عز وجل،

المعنى الثالث: الرجاء،

المعنى الرابع: المحبة،

المعنى الخامس: يتعلق باستشعار مراقبة رب العزة والجلال.

● تحقيق العبودية هو مقصد من مقاصد الشرع، وتحقيق العبودية يجري مع العبد في كل حياته، وكما تقدم أن هناك معاني تابعة تتضمنها العبودية مثل الشكر، مثل الصبر، فشكر الله عز وجل يتضمن معنى العبودية، وهكذا أيضًا معنى الصبر فإنك عندما ترضى بقضاء الله وقدره ترضى بأمر الله الكوني، وأمره الشرعي، فحينئذ تكون صابرًا محتسبًا، ومن ثم هذا يؤدي إلى تكميل معنى العبودية.

● من فعل العبادة عبادةً وقربى لغير الله كانت شركًا أكبر، لأنه عبد غير الله، ومن أدى العبادة لغير الله على جهة الرياء والسمعة لا على جهة العبودية له، فهذا شركٌ أصغر،

● بعض الناس ويعبد أو يصلي أو يسجد لبعض المخلوقات، لماذا؟ قال هذا منزلته عالية عند الله، تعتقد أنه ينفع أو يضر قال لا لكنه يقربني لله، نقول هذا عبودية لغير الله، فإنه قد أشرك في توحيد الألوهية،

● الدعاء عبادة، لأنه يتضمن المعاني الخمسة، فيه خضوع، وفيه رجاء أن يجاب الدعاء، وفيه خوف، وفيه استشعار لمراقبة رب العزة والجلال، وفيه أيضًا دلالة على محبة الداعي لمن يدعوه.

فالدعاء عبادة، ولذلك لا بد أن تكون العبادة لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز صرفها لغيره عز وجل،

● لا بد أن يكون الدعاء لله وحده، ولا يجوز أن يصرف لغير الله كائنًا من كان، ولو كان من الأنبياء، أو الملائكة، أو الأولياء، أو الصالحين، أو الأشجار، أو الأحجار، أو الأصنام، لا فرق، لأن فيه صرف عبادة لغير الله عز وجل.

● أمرنا بالاعتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم والسير على طريقته، فالنجاة هي في التزام هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وكل عبادة جديدة ليس على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه، فيقال لها بدعة.

● العبادة لا بد أن تكون موافقة للشرع في عددٍ من الأمور:

الأمر الأول: أصل العبادة لا بد أن يكون مشروعًا،

الأمر الثاني: الموافقة للشرعية في كيفية العبادة،

الأمر الثالث: لا بد أن تكون العبادة موافقة في عددها،

الأمر الرابع: الموافقة في مكان العبادة،

الأمر الخامس: الموافقة في زمان العبادة،

● الناس عندنا ثلاثة منازل:

المنزلة الأولى: من خالف هواه الشرع، فعمل بالهوى وترك الشرع، فهذا ضالٌّ، عاصٍ لله- عزَّ وجلَّ.

المنزلة الثانية: من توافق هواه مع أمر الشارع، فعمله، فهذا يكون مأجورًا مثابًا.

المنزلة الثالثة: من كان هواه مخالفًا للشرع، ومع ذلك سار على مقتضى الشرع، وترك هوى نفسه، فهذا بأعلى المنازل، لماذا؟ لأنه وجد عنده الداعي لترك الطاعة، ومع ذلك لم يستجب له، واستجاب لأمر الله- عزَّ وجلَّ.

الدرس الثالث

● بعض الناس قد يظن أن ما تهواه نفسه، وما ترغبه يكون هو المصلحة، وهذا ليس صحيحًا، فليست المصالح تابعة لأهواء النفوس، وإنما المصالح أمورٌ حقيقيةٌ واقعيةٌ تتصف بها الأفعال والأشياء وليست مرتبطةً برغبات النفوس وأهوائهم.

● قد يقول قائل: لم أوجد الله في الكون ما فيه مفسدة؟ والجواب عن هذا:

أن وجود المفسدة تتحقق به مصالح أكبر من تلك المفسدة، فإنه إذا وجدت المفسدة تقرب الناس إلى ربهم بنفهم، وكذلك يكون هذا من أسباب ظهور عباداتٍ جديدةٍ يتقرب بها الناس إلى الله، ويثابون بها.

● المصالح يمكن تقسيمها بتقسيماتٍ متعددةٍ،

هناك مصالح أخرويةٌ تتعلق بأمر الآخرة وإصلاح العبد لآخرته،

هناك مصالح دنيويةٌ، وإن كان كثيرٌ من الأعمال تتحقق بها المصلحتان معًا،

● يمكن تقسيم المصالح إلى

هناك مصالح معتبرةٌ وهي التي جاء الشرع باعتبارها، سواءً كان ذلك بواسطة النص أو بواسطة القياس،

هناك مصالح مرسلَةٌ، هي التي لم يأت في الشرع تقريرها ولا إلغاؤها،

المصالح الملغاة، والمراد به المصالح التي في مقابلة النصوص، فإنها مصالح ملغاةٌ.

المصالح الضرورية هي التي يؤدي فقدانها إلى هرج في الدنيا، أو فوات نعيم في الآخرة، ومن أبرز ما يكون من الضروريات، الضروريات الخمسة، وهي حفظ الدين وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العقل، وحفظ العرض أو النسل، فهذه ضروريات مهمة.

- بعض الناس لا يفرق بين الضرورة والضروري، فالضروري هذا أمر مطلوب، مثلاً حفظ الدين، حفظ العقل، هذا ضروري، هذا أمر مطلوب، بينما الضرورة هذه حالة مخالفة لحالة العادة المستقرة يترتب عليها التخفيف في بعض الأحكام الشرعية.
- الحاجي مقصود مطلوب، بينما الحاجة أمر يتناقى مع الحال المستقر، وبالتالي يستدعي مراعاته في الأحكام، والحاجة على الصحيح ما يلحق بفقده ضرر، ولكن غيره يقوم مقامه في دفع هذه الحاجة.

الدرس الرابع

- قد يكون التخفيف بالإسقاط، إسقاط ما كان واجباً على غيره، ومن أمثلة ذلك، المرأة الحائض يسقط عنها واجب الصلاة، والمجنون يسقط عنه وجوب الصلاة والصوم والحج. ومثله أيضاً من عجز عن الحج سقط عنه وجوب الحج.
- السفر من أسباب التخفيف، يخفف فيه في قصر الصلاة وجمعها، وإباحة الفطر من الصوم، وترك الجمعة، والمسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليهن.
- إن المريض خفف عنه الشارع عدداً من الأحكام، وسهّل عليه من مثل: جواز الصلاة جالساً، وعلى جنب، ومن مثله فطر شهر رمضان، ومن مثل سقوط الجمعة والجماعة، ومن مثل الانتقال من الوضوء إلى التيمم، ونحو ذلك، وكذلك فيما يتعلق بعدم تعين الصوم عليه على جهة الأداء، وإنما قد يتعلق الوجوب بزمته.
- المشقة ليست مقصودة للشارع، وأن التعب والإنعاط ليس مقصوداً للشارع، لكن لو قدر وقوعه في طريق العبادة، فحينئذٍ يعظم أجر الإنسان به، ويكثر ثوابه.
- ينبغي أن نفرق بين الضرورات والضروريات، الضروريات أمور لابد منها، وأما الضرورات، فهذه مشقة وضرر على المكلف، تقتضي التخفيف، أما الضروريات فمعنى كلي قصده الشارع، تتحقق به المصالح الكلية، مثل حفظ الدين، حفظ المال، هذه ضروريات، أما ما هو ضرورة مثل ما لو خشي على نفسه من الهلاك، فحينئذٍ هذا ضرر عليه، وبالتالي نقول: الضرورات تبيح المحظورات.
- الضرورة يُراد بها على الصحيح ما يلحق بفقده ضرر، ولا يقوم غيره مقامه، وبينما الحاجة هي يلحق بفقدتها ضرر، لكنه قد يوجد أشياء تقوم مقامه.

- ما الفرق بين الرخص وبين التخفيف؟
التخفيف أكبر وأعم من الرخصة، الرخصة أن يكون المعنى والعلة التي من أجلها ثبت الحكم لازالت موجودةً، ومع ذلك انتفى الحكم.

الدرس الخامس

- هناك حقٌّ للمسلم على المسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «حق المسلم على المسلم ستٌّ»، فهذه يجب أدائها لأصحابها، ولا يجوز التفريط فيها، وإن لم تكن حقوقاً ماليةً، كرد السلام، وتشميت العاطس، زيارة المريض، اتباع الجنائز، هذه حقوقٌ يجب أدائها.
- من الحقوق التي جاءت بها الشريعة الحقوق المتعلقة بالتواصل، مثل بر الوالدين، مثل صلة الرحم، مثل أيضاً إكرام الضيف، مثل الاجتماع والتآلف بين الناس.
- هناك دافعٌ ذاتيٌّ يجعل الإنسان يؤدي الحقوق لأصحابها، ألا وهو هذا الضمير، وهذه المخافة من رب العزة والجلال وهذا الرجاء في أمور الآخرة، فإنها تجعلك تؤدي هذه الحقوق لأصحابها.
- علينا أن نتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ بحفظ ألسنتنا، لا نذكر معائب أحدٍ، لأن هذا من الغيبة، الغيبة محرمةٌ، ولأن هذا يترتب عليه مفسدة استهانة القلوب بتلك المعاصي وانتشارها في الخلق، وبالتالي يكون هذا من أسباب انتشار المعاصي في الناس.
- أن من أعظم ما يدفع الناس للقيام بالحقوق الواجبة عليهم: ما يتعلق بالإيمان بالدار الآخرة، فإن الناس متى آمنوا بذلك، وجزموا به، وعلموا أنهم سيقفون بين يدي رب العزة والجلال، وسيحاسنهم على أعمالهم كلها، فإن هذا يدفعهم إلى أداء الحقوق لأصحابها، ولذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم: «من كان عنده مظلمةٌ لأخيه، فليتحلل منها اليوم، قبل أن لا يكون درهمٌ ولا دينارٌ.»

الدرس السادس

- مسائل النية كثيرةٌ متعددةٌ، تتعلق باشتراط النية في العبادات مثلاً، فالنية مشترطةٌ في ما يُتقرب به لله سبحانه وتعالى، الصلاة لابد فيها من نيةٍ، والصوم، الزكاة، الحج، الطواف، جميع الأعمال الصالحة التي يؤديها الإنسان لابد أن ينوي بها التقرب لله عزَّ وجلَّ
- من الأمور التي تتعلق بمقاصد المكلفين وجود اختلاف بين مقصد المكلف وبين مقصد الشارع، فإن الناس في هذا الباب على أربعة أصنافٍ:
الأول: يوافق مقصده مقصد الشارع في الظاهر والباطن، فحينئذٍ يكون هذا محققاً للهدف الشرعي ويكون جارياً على السنن الشرعي في هذا الباب.

الثاني: وهناك من يقصد مخالفة الشرع ويكون مخالفاً لمقصد الشرع، فهذا شخصٌ مخالفٌ عليه الوزر، ويعتبر مضاداً في هذا الباب.

الثالث: وهناك من يوافق في الظاهر لكنه يخالف في الباطن.

الرابع: وهناك من يوافق في الباطن ولكنه يخالف في الظاهر.

- ما ينبغي بك أيها الإنسان أن لا تنظر إلى المقصد الشخصي، وانظر إلى المقصد الأعظم، من تحقيق أمر الله- عز وجل- في الوفاء بالعهد، وكون ما يدخل عليك من المال الحلال، لا من المال الحرام، وحينئذٍ تكون مأجوراً مثاباً على كل لحظةٍ تمضيها في هذا العمل،
- القصد هو الأمر النهائي، والغاية الكلية، ولكن النية تدخل المقاصد نيات ينويها الإنسان، إذن النية أمرٌ قلبيٌّ، والقصد والمقصد هذا أمرٌ خارجيٌّ، فالنية تتعلق بالمقصد، إذن النية ما ينعقد عليه القلب، والقلب وماذا ينعقد عليه؟ ينعقد على الأمر المقصود، الذي يسمى مقصداً، فإذا عندنا نيةً، وعندنا أمرٌ مقصودٌ، يسمى المقصد، فالآن نية في القلب، والنية تسعى إلى تحصيل هذا المقصد.
- مما يحقق معنى موافقة مقصد الشارع: أن يكون الإنسان ممن نظر إلى الحكم الشرعي، قبل أن تُقدم على فعلٍ، انظر ما هو الحكم الشرعي في ذلك الفعل، قبل أن تُقدم عليه؛ لتكون حينئذٍ ممن وافق مقصدك مقصد الشارع، وهكذا أيضاً انظر إلى نتائج هذا الفعل، وما يوصل إليه، هذا الفعل وسيلةٌ إلى ماذا؟، لتتمكن حينئذٍ من أن تكون موافقاً للشارع في مقصده.

الدرس السابع

- مما جاءت به الشريعة من باب نصرة الحق، الدعوة إلى الله، والدعوة إلى الخير والهدى، فقد جاءت الشريعة بالأمر بذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 2، 3]، التواصي بالحق هذا هو الدعوة إلى الله.
- ما قد يحصل بين الناس من القدح، قدح بعضهم في بعضهم الآخر، وغيبة بعضهم في بعضهم الآخر، فهذه أسبابٌ تورث عداوةً وبغضاءً، وتبعد الاجتماع والتآلف، ولذلك نهت الشريعة عن ذلك، قال النبي- صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفرٌ»،
- نشر المحبة الإيمانية، فإن الناس متى أحب بعضهم بعضاً تعاونوا واجتمعوا، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، إذا حصل محبةٌ، اجتمع الناس وتآلفوا، والمحبة الإيمانية من أفضل الأعمال التي جاءت بها الشريعة المباركة،

- من الأسباب التي تؤدي إلى اجتماع الناس نفي البدع، والسعي إلى إلغاء البدع، فإن البدعة طريقة مذمومة في الدين، وليست على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، إذن البدع ليست محمودة بل هي مذمومة؛ لعدم فعل النبي صلى الله عليه وسلم لها.
- من الأمور التي ينبغي أن تلاحظ أن أعداء الدين يحاولون أن يفرقوا بين المؤمنين، وعلى جميع الأصعدة، لكن الشريعة تحاول الجمع والاجتماع، ولذلك جعلت هناك صحيحاً لما في النفوس لتقبل الآخرين، ولتتعاون معهم، ولتكون محسنة إليهم، وتصحيح ما في الأسرة، تصحيح ما في المجتمعات الصغيرة، كلها سعت إليها الشريعة ليوجد بينهم رباط شرعي وثيق يربط بعضهم ببعضهم الآخر.

الدرس الثامن

- الزكاة، ولا شك أنها تؤدي إلى التكافل الاجتماعي، والترابط المجتمعي، وهكذا هناك صدقة تطوع جاءت النصوص بالترغيب فيها، والحث عليها، وبيان أن العبد يؤجر الأجر العظيم في هذه الصدقات،
- من الأمور التي جاءت بها الشريعة أيضاً إغاثة الملهوف، إذا كان هناك ملهوف يحتاج إلى من يعينه ويساعده ويقوم معه، خصوصاً من وجد عليه ديون عسيرة، أو من وجد عليه ظروف متراكمة، فمثل هذا جاءت الشريعة بالوقوف معه، والحث على أن نكون يدًا واحدة في جعله يتغلب على ما يمر به.
- وأولى الناس بهذا قرابة الإنسان، ولهذا ورد في النصوص الترغيب في صلة الرحم، وترتيب الأجور العظيمة عليها
- صلة الرحم تؤدي إلى ترابط الناس، خصوصاً القرابة، ومن ذلك تعلم الأنساب، تعلم أوجه القرابة. كذلك مما جاءت به الشريعة مما يؤدي إلى تحصيل مقصد الترابط الاجتماعي ما أمرت به الشريعة من إكرام الجار، والقيام معه، والتقرب لله عز وجل بالإحسان إليه،
- من الأمور التي تؤدي إلى الترابط الاجتماعي: أن يكون هناك صبر يتخلق به كل واحد من الناس، لا يوجد أحد من الخلق كامل ومعصوم من الخطأ، إلا من عصمه الله - عز وجل - ،
- من أسباب الترابط الاجتماعي: وجود أخلاق فاضلة، فإن الأخلاق الفاضلة تدعو الناس إلى أن يتعامل بعضهم مع بعضهم الآخر، ولذا رغبت النصوص في الأخلاق الفاضلة.
- من الأسباب التي تؤدي إلى ترابط الناس واجتماعهم: أن يترك الإنسان السباب، الكلمة السيئة التي يُقدح بها على الآخرين تجتنبها، تتقرب بذلك لله - عز وجل - ،